## المحاضرة الثامنة

## التقديم والتأخير

لكل كلمة في الجملة موقع معين، وقد يتغير هذا الموقع تبعا لدرجة أهمّيّته عند المتكلم، فيحقق التغير حينئذ غرضا بلاغيا يكسب الكلام حسنا وجمالا [1]، وكل تقديم في الجملة لأحد ركنيها يصحبه تأخير ولا شك للركن الآخر، وهو لا يرد اعتباطا، بل يكون عملا مقصودا وصورة صادقة عن شعور المتكلم.

وتتمثل الأغراض البلاغية عند علماء البلاغة فيما يلي[2]:

**أولا: تقديم المسند إليه أو تأخيره:**

1- التشويق إلى متأخر إذا كان المتقدم مُشعرا بغرابة، نحو قول أبي العلاء: والذي حارت البرية فيه/ حيوانٌ مستحدث من جماد

2- التعجيل بالمسرة للتفاؤل أو المساءة للتشاؤم، فالأول كأن نقول: الجائزة الأولى في المسابقة من نصيبك، والثاني كقولنا: القصاص حكم به القاضي

3- كون المتقدم محط إنكار وتعجب، كقوله تعالى: (قال: أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟)

4- النص على عموم السلب أو سلب العموم: فالأول يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، بتقديم أداة من أدوات العموم عادة على أداة نفي، كقولنا: كل قوي لا يُهزم، من يظلم الناس لا ينجح، والثاني يرد عادةً بتأخير أداة العموم على أداة النفي، فلا يكون النفي عاما لكل الأفراد، بل يفيد ثبوت الحكم لبعضهم دون بعض، كقول المتنبي: ما كل ما يتمنى المرء يدركه، والمعنى أن المرء لا يدرك كل أمانيه، بل يدرك بعضها فقط.

5- تقوية الحكم وتقريره: كقولنا عن شخص: هو يعطي الجزيل، فالغرض هنا بتقديم المسند إليه (هو) هو تقرير فعل إعطاء الجزيل في ذهن السامع وتحقيقه وتقويته، مع تكرار الضمير مستترا في (يعطي)، ومن ذلك قوله تعالى: (والذين هم بربهم لا يشركون)

6- التخصيص: يعني أن المسند إليه قد يقدم لتخصيصه بالخبر الفعلي شريطة أن يسبقه حرف نفي، كقول الشاعر: وما أنا أسقمت جسمي به/ ولا أنا أضرمت في القلب نارا، فالسقم والإضرام كلاهما موجود، ولكن قصرهما وتخصيصهما بالمسند إليه المتقدم (أنا) قُصد به نفي كون المتكلم هو السبب في الإسقام والإضرام وإثباته لغيره، كالحبيب مثلا.

[1] يُنظر: محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط01، 2003م، ص334.
[2] يُنظر: علم المعاني لعبد العزيز عتيق، ص136.

7ـ التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت: هذا خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه، كقوله تعالى: (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)، فلو قال: (مستقر لكم) لتوُهِّم أن (لكم) نعت لحاجة النكرة إلى النعت، وأن هناك خبرا متوقّعا لهذا المبتدأ، فيتقدم المسند (لكم) للتنبيه على أنه هو الخبر.

على أن هناك من يضيف إلى ما سبق أغراضا أخرى منها التلذذ والتبرك والتفاؤل والتعجب والمساءة والتعظيم والمدح ونحو ذلك [1]، يتقدم فيها المسند إليه أو يتأخر، وتُستفاد هذه الأغراض من سياق الكلام، على أن تقديم المسند إليه إنما يعود في أكثر حالاته إلى درجة الاهتمام به، وكثير من تلك الأغراض يجمعها هذا الاهتمام.

**ثانيا: تقديم متعلقات الفعل عليه:**

الأصل أن يتقدم العامل على المعمول، فإذا تقدم المعمول فإنما يكون ذلك لغرض بلاغي، ومن ذلك التخصيص بتقديم المفعول على الفعل في مثل قولنا: (محمدا أكرمت) فإن تقديم (محمدا) فيه تخصيص له بالإكرام دون غيره، ومن ذلك تقديم الجار والمجرور على الفعل، كقوله تعالى: (وإلى الله ترجع الأمور)، فهذا التقديم يدل على أن مرجع الأمور إلى الله وحده لا إلى غيره سبحانه، ومن ذلك تقديم الحال على الفعل في مثل قولنا: (مبكرا خرجت إلى عملي)، فإن في هذا التقديم تخصيصا لحالة التبكير بالخروج دون غيرها.

يرى علماء البلاغة ومنهم الزمخشري أن الغرض من تقديم متعلقات الفعل عليه إنما يكون للاختصاص، بينما يرى ابن الأثير أنه يكون لأحد غرضين: التخصيص أو مراعاة نظم الكلام، ومن الأمثلة على غرض مراعاة النظم قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين)، فقُدّم المفعول لمكان النظم ومراعاة الفاصلة، ولكن لا يمنع أن يكون الغرضان معا هما سبب التقديم في هذه الآية، وأما قوله تعالى: (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه)، فتقديم المفعول ليس هنا للاختصاص، وإنما هو لمراعاة النظم والتناسب، ونظير هذا قوله تعالى: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)، فليس التقديم هنا للاختصاص وإنما لمراعاة النظم، ومنه أيضا: (فأما اليتيم فلا تقهر).

**تطبيق:**

بيّن أسباب التقديم والتأخير فيما يلي:

ـ ما كل ما فوق البسيطة كافيا/ فإذا قنعت فبعض شيء كاف (سلب العموم)

ـ ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها/ شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر (التشويق إلى متأخر)

ـ (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (تقديم المفعول به للتخصيص)

[1] يُنظر: جواهر البلاغة، ص136 وما بعدها.

ـ بك اقتدت الأيام في حسناتها/ وشيمتها لولاك همّ وتكريب (تقديم الجار والمجرور للاختصاص)

ـ فكيف وكل ليس يعدو حمامه/ وما لامرئ عما قضى الله مزحل (عموم السلب)

ـ إذا شئت يوما أن تسود عشيرة/ فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم (تقديم الجار والمجرور للتخصيص)

ـ جميع العقلاء لا يسعون في الشر (عموم السلب وشمول النفي)

ـ (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تقديم الجار والمجرور للتخصيص

ـ أبو لهب فعل كذا (تقوية الحكم)

ـ براءة المتهم حكم بها القاضي (التعجيل بالمسرة)

ـ أمثلي تقبل الأقوال فيه/ ومثلك يستمر عليه كذب (المتقدم محط إنكار وتعجب)

ـ (لله ملك السماوات والأرض) (تأخير المسند إليه لقصره على المسند)

ـ له راحة لو أن معشار جودها/ على البر كان البر أندى من البحر (التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت)